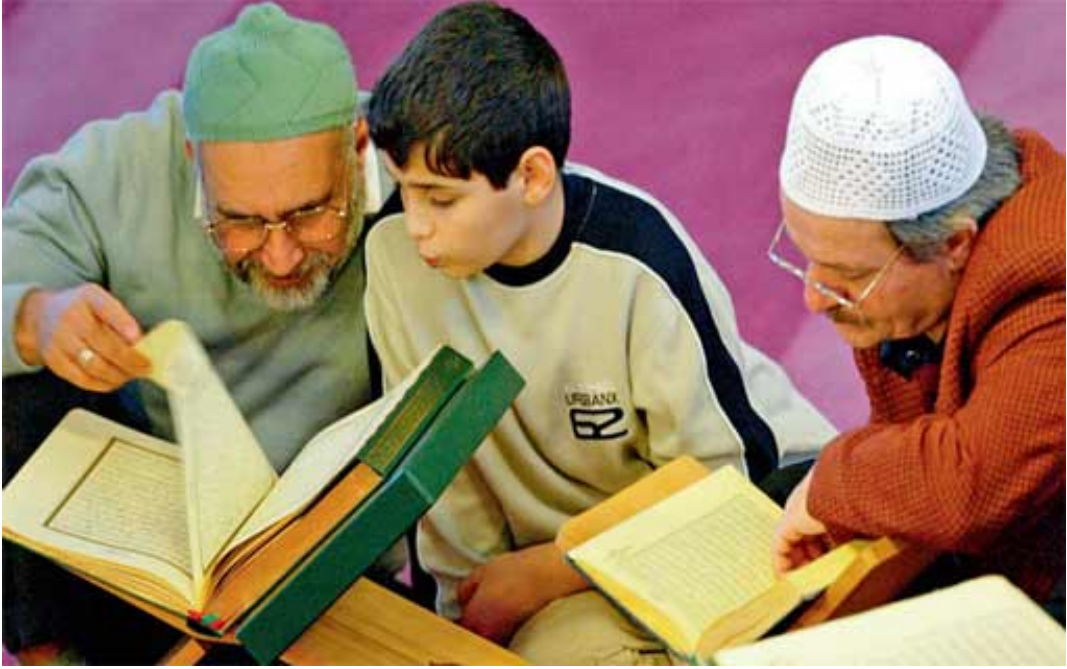


العبرة والتربية.. بواعث وأهداف



العبرة من العُـبُور، جمعتهما المادة اللغوية، والاعتبار الذي أمر الله به عز وجلّ تربيةً لنا هو النظر في مصائر أمم طغت في البلاد وأكثرت فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك ليالمرصاد.

انظر إلى مصائر المستكبرين، آحاداً كانوا أو قُـرى، ثمّ اعبر من صفّة التاريخ إلى صفّة نفسك، وصفّة قريتك، وصفّة ما تعانيه أمتك، لتعمل بالحكمة الاعتبارية في إصلاح مصيرك الأخرى أولاً، ومصير أمتك، لأنّ إصلاح مصير أمتك عمل يرضاه الله.

وجسّـرُ العُـبُور في رسالتنا هذه يصل بين شاطئ تاريخي وُلدت فيه الوطنية مسلمة شعارها الإيمان، والإيمان وحده، وشاطئ حاضري الوطنية فيه استحال نضالاً له رصيدٌ أو أنت في الساحة دعي دخيل، واستحال ديمقراطية مطلوبة ممتنعة، والدين فيها بدعة.

ما يغني العاملين لمستقبل الأُمّة وَصَفُنَا للتاريخ وشواطئه وجسوره وعابري الجسور إلا كما يُغني العطشان وصف الهواجر وحمارة القيط. لعل وصف المياه الجارية، والعيون النابضة، والأفداح الباردة كان يُسليه ويُلْهيه.

لا يطفئ الوصفُ غلّته، بل يُلهب الوصف عطشه إن تناول الصحاري ورمالها والفيافي وقحولتها. وما في

حصيلة خالدٍ من كسب زيد شيءٌ في حسابات الدنيا وحقائنها، ولا في سجله يوم القيامة نقيراً أو قطميراً مما جناه زيد من المآثم واقترفه، أو عمله من المبررات والطاعات وصرفه. العبور في حد ذاته تربية إن راقبت الجسور لكيلا تهوي بك خُشْبُ مسندة، أو تعثر بك قدم في دُفر لا ممهدةٍ ولا مُعبّدةٍ.

أثناء الاعتبار وبعد الاعتبار تغني التربية فقط. والتربية عمل يسبقه علم. التربية تنمية وارتفاع: إسلام، إيمان، إحسان.

التربية صلاة، جماعة تلتقي خمس مرات في اليوم. هذا أولاً. التربية خطبةٌ واعظ الجمعة. خطبته هي الحد الأدنى الواجب وجوباً مؤكداً من السماع المربي. ومن الجمعة للجمعة مجالس إيمان، وشُعب إيمان.

التربية مُرَبِّ بحاله ومقاله. التربية مسجد وحلقات علم وذكر. التربية أم مؤمنة، ومدرسة، وجامعة، وتلفزيون وإذاعة وصحافة. التربية عضوٌ في جماعة المسلمين يُحِبُّ ويُحَبُّ، ينصر ويُنصَر، يشارك في عمل كل خير، ويجفو وينكر بالقلب واللسان واليد كل منكر. التربية قرآن يُتلى ويعمل به.

الاعتبار في المسألة أن السياسة لها إرادة ولا تربية. والدعوة طموحٌ إلى ما عند الله، وإلى مقعد صدق عند الله، والعمل السياسي لإمساك وازع السلطان بقمّةٍ إعدامه القرآن وسيلةٌ شريفةٌ شرفها القصدُ والنيةُ، وبشرفها الاستقامة إلى أهدافٍ شرعيةٍ وغايةٍ إحسانية.

إن حقيقة تاريخ الأمم الحية تكمن في عمق حركتها الاجتماعية، وتماسك اندماجها في وجه الأعاصير، وقدرتها على الاقتحام الإيجابي للمستقبل بإرادة لا تنظّل إلى الوراء.

وروح الحركة والقدرة إنما هو الباعث المتجذر في قلوب الرجال، من غضبٍ على عدوٍّ غاشم، أو مطمحٍ تعلقت به آمال، أو إرادةٍ ألهمتها عقيدة، أو زحفٍ نهضت له أمة لها في الكون رسالة.

إن سؤالنا المتكرر عن الفرق بين السياسي ورجل الدعوة في البواعث والأهداف والوسائل يقودنا إلى الجواب عن طبيعة اللحمة الجامعة الحافزة. ما يُحرك الناس؟ من يحرك؟ ماذا في ضمير الرجال الذين يقودون الحركة؟ ما يدور في جذع الأدمغة المفكرة؟ ما سرُّ صحة الصحيح وعلة العليل في الحركة؟ أي مثالية تُلقي بظلالها على الموكب المتحرك؟ ما يعطل حركة هذا وهؤلاء فيتأخرون خطوة وخطوات عن الركب؟ ما يجمع الناس في العمق؟ ما يفرقهم؟ تجمعهم وطنية؟ وتجمعهم طبقة؟ مصالح؟ فكر؟ عقيدة ونية استشادية؟

لكل مستوى من الإدماج حركية تناسبه، وقِيرانٌ خارجي يتحكم في اتجاهه ويصارعه، ونظام في المجتمع قائم يفرض على الحركة الإرادية حدوداً.

هذا النظام في المجتمع الذي يُراد تغييره لا يمكن نسفه ضربة لازبٍ، ولا يمكن تنفيذ حُكم الإعدام فيه. وقد أعطت الحلول الثورية الناسفة العنيفة الدليل على أن إعدام طبقةٍ ظلمت واستحقّت الموت لا يعني إلا تغييب وجوه لتبرز وجوه. ويبقى حبل الغرائز البشرية غير المهذبة واصلًا بين طبقة أُوَعدِمَت

وطبقةٍ أعدّمت°. والمتأمّل فيما خلّف الاستقرائية الروسية بعد الثورة البلشفية يجدُ مقنعاً.

المصدر: كتاب "حوار الماضي والمستقبل"